9-**التصوير البلاغي:** نجد البديع في قوله صلى الله عليه وسلم "يحلونه عاما، ويحرمونه عاما" {الطباق}. و استعمال المعاني في قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا هل بلغت؟ " {الاستفهام} و " أيها الناس" {النداء}.

10- **الاستعانة بالكلمات المؤثرة، وبالعبارات المسجوعة والمزدوجة من غير تكلف؛** حيث نشاهد الأسجاع القوية المتواترة المتآلفة المبدعة في المقدمة "الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له..." حتى يُخيل لمن يسمعها أنها تأخذ مكانا وسطا بين القرآن الكريم والنثر الأدبي الخطابي. و في الازدواج مثال: "أوصيكم عباد الله، بتقوى الله"

11- **السمو الجمالي:** تميزت الخطبة بالنزعة الجمالية الواضحة في كلماتها وألفاظها، بل في حروف الكلمات ذاتها وفي تأثير هذه الكلمات والمعاني في النفوس. وإذا نظرنا إلى المقدمة لوجدنا فيها مع النغمة اللفظية المؤثرة، الأداء الذي يتضمن المعاني الإنسانية العميقة بالإضافة إلى المحافظة على مقدمة الخطبة الوعظية، وذلك دون تغليب اللفظ على المعنى. قال أبو الهلال العسكري: "المساواة أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني، لايزيد بعضها على بعض".

12- **الجزالة وسهولة الألفاظ:** يرجع الإقناع القوي في الخطبة إلى سهولة ألفاظ الخطبة، ووضوح المعاني التي تتناولها مما يجعل المستمع إليه يتابعها ويفهمها بلا بحث في لفظ عويص أو معنى خفي، هذا بالإضافة إلى أن السهولة في الخطبة النبوية صاحبت صدقا حارا وإخلاصا قويا وإيمانا ثابتا بالموضوع وتفانيا مستمرا في إيصال الرسالة للناس.

13- **تجدد الموضوعات وتنوعها:** فخطبة حجة الوداع يمكن أن نعتبر موضوعها الأصلي لها هو: بيان فساد العادات الجاهلية ومع التزامها بهذا الموضوع نجدها

تورد الأفكار مرتبة، وتنتقل من فكرة إلى ما بعدها؛ حيث تتحدث عن حرمة الدماء والأموال وعن أداء الأمانات إلى أصحابها، وعن تحريم الربا وعن وضع الثأر، وعن حكم القتل عمدا وعن دية غير العمد، وعن النساء ما لهن وما عليهن، وعن الأخوة الإنسانية فتتحدث عن هذه الأفكار وتنتقل بينها بتقسيم مرتب ونظام مترابط.

14- **التنويع في الأسلوب ما بين الإنشائي والخبري:** نجد الاستفتاح بجملة خبرية هزت الجمهور المتلقي وأثرت فيه أيما تأثير، وهي الإعلان بقرب أجله، وقرب ختم الرسالة المحمدية، حيث قال صلى الله عليه وسلم: " أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا" وقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه البداية أسلوبين من الاستهلال هما: الاستفتاح بالنداء الشامل للناس، والاستفتاح بالجملة الخبرية المثيرة لاهتمام جماعة المسلمين، لاسيما وأنهم يحبون الرسول أكثر من أنفسهم، ومشاركة الناس هموهم والتعاطف مع قضاياهم ومشكلاتهم تعد من المداخلة الهامة لجذب الاهتمام، وتحريك الوجدان، واستثارة العقول، وقد أتقن الاتصال النبوي هذا الأسلوب في الاتصال، فأقنع الناس بالحق.[66]

15- **الإيجاز:** تميزت خطب النبي صلى الله عليه وسلم بالإيجاز غير المخل أي الإيجاز المشتمل على المعنى بدقة، فقد أوتي النبي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، وقد تمكن النبي من ذلك بسب اهتمامه بالموضوع الذي يخطب فيه، يشغل نفسه بإعداد الخطبة، واختيار الألفاظ المناسبة لها؛ لأنه يعلم أن صحابته سيتداولون حديثه وسيلزمون بمنطقه ونص كلامه. وفي خطبة الوداع التي تمثل أسسا تشريعية، أطال فيها النبي صلى الله عليه وسلم، على غير عادته حيث خطبها في الجمع الحاشد لحجاج عام الوداع.

---

[66]- الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ، سعيد بن علي ثابت ص 90: ط 1 / 1417 هـ .

- **من جانب المضمون:**

واضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكد يُلمُّ بالحمد لله والشهادة والوصية بالتقوى حتى انتقل يبين طائفة من التشريعات الإسلامية التي أقامها الدين الحنيف حدودا بين حياة العرب في الجاهلية وحياتهم في الإسلام، فقد كانوا مفككين متنافرين يتحاربون دائما طلبا للأخذ بالثأر وهنبا للأموال.

وجمعهم الإسلام تحت لوائه في جماعة كبرى متآخية متناصرة لا يبغي بعضها على بعض. ولكي يقضي على كل سبب للحرب بينهم ردّ دم القتيل إلى الدولة فهي التي تعاقب عليه، ولكي يستأصل هذا الداء دعا إلى التنازل عن حق الأخذ بالثأر القديم، وحرم النهب والسلب تحريما قاطعا مُشَدِّدا فيه العقوبة.

والرسول يفتتح في الخطبة أوامر الإسلام ونواهيه بإعلان أن دماء المسلمين وأموالهم حرام، وأن على كل من كانت عنده أمانة أن يردها على صاحبها، وأن على كل مسلم أن يرعى أخاه في ماله، فلا يأخذ منه شيئا إلا بالحق، ومن ثم حرّم الربا، وبدأ بعشيرته وتاجرها الموسر العباس بن عبد المطلب فأسقط عن رقاب المدينين له رباه. وعلى نحو ما أسقط الربا أسقط دماء الجاهية، فليس لمسلم أن يثأر لقتيل له، وبدأ بعشيرته فأسقط دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. ولم يُبق من مآثر الجاهلية شيئا سوى خدمة الكعبة وسقاية الحجيج، وأوجب في قتل العمد القَود، ولكن الدولة هي التي تقوم به، وبذلك قضى الإسلام على حروبهم الداخلية. وقد جعل في القتل شبه العمد مائة بعير. كل ذلك ليحفظ للجماعة وحدتها ويسود بين أفرادها السلام والوئام.

ويحذر الرسول من الشيطان وغوايته، محرما للتلاعب بالأشهر الحرم، واضعا تقويما قمريا يتألف من اثنى عشر شهرا، منها أربعة حرم: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب. ويرفع من شأن المرأة ومعاني علاقتها بزوجها، فيجعل لها حقوقا وعليها واجبات، وفي الطرفين جميعا يحفظ لها كرامتها كما يحفظ لزوجها نفس الكرامة. داعيا إلى التعاطف بينهما والتراحم والتعامل برفق. ويعود إلى العلاقة بين الفرد وجماعته الكبرى من الأمة، فيقرر أن المؤمنين إخوة، لكل منهم على صاحبه ما للأخ على أخيه من التآزر والتعاون والتحابّ، فلا بطش ولا ظلم ولا نهب، ولا حرب ولا سفك للدماء. وإنه لعهد من نقضه عاد كافرا آثما قلبه. لقد انتهى عهد الحياة القبلية وكل ما اتصل بها من تنابذ وتفاخر، فالناس جميعا لآدم، ولا عربي عدناني ولا عربي قحطاني، بل لا عربي ولا أعجمي، فقد وضعت موازين جديدة لحياة العرب، فلم يعد التفاضل بالنسب والحسب، إنما أصبح بالتقوى فهي معيار التفاضل. ويلفت الرسول سامعيه إلى ما قرره القرآن في الميراث وأنصبته، وأن للمورث أن يوصي بالثلث من ماله. ويرسي قاعدة مهمة في شرعية الأبناء، وخاصة الأبناء غير الشرعيين الذين ولدوا في الجاهلية، فينسبهم إلى أصحاب الفراش، وكان من عادتهم أن يُنسبوا إلى غير آبائهم، فقضى على تلك العادة السيئة حفظا للأنساب.[67]

[67]- فن النثر ومذاهبه لشوقي ضيف ص 120/119 دار المتعارف بمصر.

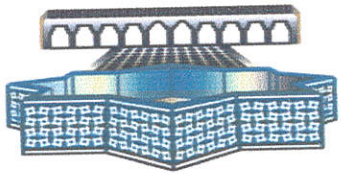

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة سيدي محمد بن عبدالله

كلية الآداب و العلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس

شعبة الدراسات الإسلامية

الفصل السادس

مادة فن الخطابة

تحليل خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي عند توليته على الكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم

نص تحليل خطبة الحجاج

مقدمة :

يعد البيان من أهم العلوم البلاغية التي لها أثر في الكشف عن جمالية النص النثري وكانت الخطابة تمثل ذروة البيان وعموده لذا نجد أن من أحكم الخطابة قد جاد بيانه وسهل عليه إيصال أفكاره والتأثير في سامعيه واستمالة قلوبهم إليه ويعد الحجاج بن يوسف الثقفي أحد رموز الخطابة العربية بعامة والأموية بخاصة ،فلا تكاد كتب البلغاء تخلو من ذكر اسمه او بعض من خطبه ونظرا لأهمية النص الخطابي عند الحجاج وما تنطوي عليه من سمات وخصائص فنية وما تزخر به من صور بيانية جعلتها في صدارة النصوص النثرية التراثية الجديرة بالبحث والدراسة وجميعنا أصبحنا نعرف أهمية التراث : استلهاما لماضينا وفهما لحاضرنا واستشرافا لمستقبلنا.

من هذا المنطلق جاء اختيارنا لنص خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي عند توليته على أهل العراق التي ألقاها في المسجد في أول يوم دخل فيه الكوفة ،واخترناها لشهرته في الأدب العربي والتراث اللغوي ،فما ذكرت الخطابة إلا وذكرهذا النص ،وما ذكر الحجاج إلا وذكرنا هذه الخطبة ،با إن بعض جمله صارت أمثالا يرددها الناس في حياتهم اليومية.

من هو الحجاج بن يوسف الثقفي؟

ولد "الحجاج بن يوسف" الثقفي سنة إحدى وأربيعين للهجرة وتوفي في خمسوتسعين منها [41 - 95 ه /661 -713 م]هو من فصحاء العرب ،ويعد في الذروة من أهل الخطابة والبيان في العصر الأول ،وهو سياسي محنك وخطيب مفوه ،من دعائم دولة الأمويين حيث نصر حكمهم بيده ولسانه .ولد في الطائف ونشأ بها ،وتلقى تعليمه الأول على يد والده ؛ إذ كان معلم صبيان ؛ فامتهن مهنة أبيه في شبابه .ويذكر بعض المؤرخين امتهانه الدباغة أو بيع الزبيب .وكان قصيرا دميما قاسيا.

دفعت به الظروف التاريخية و السياسية ، التي أعقبت وفاة معاوية بن أبي سفيان وخلافة بنه اليزيد مع ما حفلت به من اضطرابات وفتن ،إلى الحياة العسكرية،التي اظهر فيها قدرته على القيادة

.مما جعل عبد الملك بن مروان توليته إمرة الجيش المكلف بالقضاء على حركة عبد الله بن الزبير بمكة ، فلم يترك وسيلة لإثارة الرعب إلا ركبها ، فحاصر مكة وضربها بالمنجنيق، فتفرقت الجموع من حول بن الزبير حتى فصله الحجاج ، ولم ينزله من مكان صلبه إلا بأمر من عبد الملك ، فكافأه عبد الملك على هذا النجاح بتوليته العراق إضافة ألى الحجاز.

مناسبة النص

عرف الحجاج باليد القوية لعبد الملك بن مروان في تأسيسه الثاني للدولة الأموية وتثبيت دعائمها . فلما ولي الحجاج العراق ذهب إلى الكوفة وبدأ بالمسجد فصعد المنبر وهو ملثم بعمامة خز حمراء فقال :علي بالناس وهو ساكت وقد أطال السكوت ،فتناول محمد بن عمير حصباء وأراد أن يحصبه بها وقال : قاتله الله ما أغباه وأذمه .فلما تكلم الحجاجا جعلت الحصباء تنتثر من يده وهو لا يعقل بها ، قال :ثم كشف الحجاج عن وجهه وقال : وهذه مقتطفات من الخطبة.....

نص خطبة الحجاج بن يوسف

أنا بن جلا وطلاع الثنايا ...متى أضع العمامة تعرفوني

والله يا أهل العراق ،إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها ، وإني لصاحبها ، والله لكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى ، وإن أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها عودا عودا فوجدني أمرها عودا وأشدها مكسرا فوجهني إليكم ورماكم بي .

يا أهل العراق ، أهل الشقاق والنفاق ، ومساوئ الأخلاق ، لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة ، واضطجعتم في منام الضلال ، لأعصبنكم عصب السلمة ، ولأضربنكم ضرب غريبة الإبل.

إني والله لا أحلف إلا صدقت ، ولا أعد إلا وفيت ، أقسم بالله لتقبلن على الإنصاف ، ولتدعن الإرجاف ، وقيلا وقالا وما تقول وما يقول وأخبرني فلان ، أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده ،فيم أنتم وذاك؟ والله لتستقيمن على الحق او لأضربنكم بالسيف ضربا يدع النساء أيامى والولدان يتامى ، حتى تذروا السمهى وتقلعوا عن ها وها .

يا أهل العراق إنما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله فأتاها وعيد القرى من ربها ، واعتدلوا ولا تميلوا واسمعوا وأطيعوا وشايعوا وبايعوا . واعلموا ان ليس مني الإكثار والإهدار إنما هو انتضاء السيف ثم لا يغمد الشتاء ولا الصيف . وإن أمير المؤمنين

أمرني أن أعطيكم أعطياتكم اشخصكم لمجاهدة عدوكم وعدو أمير المؤمنين وقد امرت لكم وأجلتكم ثلاثا وأعطيت الله عهدا يؤاخذني به ويستوفيه مني لئن تخلف منكم بعد قبض عطائه أحد لأضربن عنقه وأنهبن ماله.

اللغة و معاني الكلمات.

ابن جلا: رجل واضح لا يخفي شيئا.

طلاع الثنايا: لمن جرب الأمور و أحكمها .و الثنايا جمع ثنية و هي: الطريق في الجبل .

أيعنت :نضجت. الكنانة: التي يكون فيها السهام و توضع على الظهر. عجمها :اختبر عيدانها بعدما لاكها بفمه. السلمة: شجرة ذات شوك فتضرب بشدة حتى تعصب فلا تؤذي بشوكها حاطبها .

غريبة الإبل :ما يدخل في جماعة الإبل من الأبل الغريبة عند ورود الماء فتضرب حتى تخرج. أرجف: أرجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة و ذكر الفتن و قد ذكر الله تعالى المرجفون في المدينة و هم الذين يولدون الأخبار الكاذبة. الأيامى :جمع أيم و هي التي لا زوج لها. السمهى: الباطل .

الأفكار الرئيسية في النص :

بيان الحجاج لشدته و قوته وسياسته في الحكم المبنية على الشدة و القسوة .

بيان الحالة التي وصل لها أهل العراق من الشقاق و النفق و السعي وراء الفتن و اتباع الإشعاعات و الأقاويل .

بيان أن اختياره كان مبنيا على حكمة و دراية و ليس عشوائيا .

بين أنه أرسل إليهم عقوبة على كفرانهم نعم الله .

تهديد أهل العراق إذ لم ينهضوا لحرب العدو بقتلهم و نهب أموالهم .

البلاغة و الأسلوب :

أولا : كان الحجاج بارعا في استهلال خطبته حيث بدأ بداية قوية تظهر بأسه و شدته و ملاعمته للولاية في بلد هذا حاله يحتاج إلى الشدة و القوة و كان هذا الاستهلال مناسبا للحال إذ كان ملثما ثم أماط اللثام .

ثانيا: يزخر النص بالتشبيهات و الاستعارات و الكنايات و الصور الفنية من ذلك: إني لأرى رؤوسا قد أينعت: شبه الرؤوس بالثمار التي تنضج ثم حذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية

الخطاب البلاغي من جمالية التصوير إلى قوة التأثير و الإقناع

تعد الخطابة أداة بارزة لإقناع الجمهور واستمالته والتأثير فيه. لذلك يلجأ الخطباء إلى توظيف عنصري الخيال و التصوير في خطبة وذلك "لإبراز أفكارهم و توضيحها و تجسيمها في قوالب من التخييل ومن التضاد." (1)

فما هي عناصر و مقومات الخطاب الإقناعي في خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي ؟

الصورة الفنية عنصر من عناصر التأثير الوجداني على السامعين و الصور البيانية من تشبيه و استعارة و كناية تعتبر الأكثر تأثيرا في النفوس .

1. صور التشبيه

التشبيه من أقدم فنون البيان العربي, لذلك تعددت تعريفاته الاصطلاحية. ومن هذه التعريفات تعريف عبد القاهر الجرجاني و يقول فيه: "التشبيه أن يثبت لهذا معنى من معاني ذاك, أو حكما من أحكامه كإثباتك للرجل شجاعة الأسد

---

(1) أحمد محمد الحوفي فن الخطابة ص220

وللحجة حكم النور". وقد تشكلت في خطبة الحجاج التي بين أيدينا جملة من التشبيهات البليغة – حذفت منــها الأداة و وجه الشبه - وردت في سياق التهديد و الترهيب و هي "لألحونكم لحو العصا" و كذا "لأعصبنكم عصب السلمة ."

""لأضربنكم ضرب غرائب الإبل" جسد الحجاج في هذه التشبيهات أنواع العقاب التي سيلحقها بأهل العراق. ففي الصورة الأولى، يمثل الحجاج نفسه بأنه سيسلخ جلودهم عن أجسامهم, كما يزال اللحاء-القشرة- عن العصا. وفي العبارة الثانية، يقرر الحجاج أن يعصبهم كعصب السلمة, والسلمة شجرة ذات شوك تعصب أغصانها بحبل شديد ثم تخبط فيتناثر ورقها, ليثبت لهم أنه لا يخشاهم, وأنه سيسلط عليهم أشد العذاب. أما في الصورة الثالثة فهو يشبه ضربه لأهل العراق بضرب غرائب الإبل .

هذه التشبيهات جسدها الحجاج في صور استمدها من بيئته البدوية الصحراوية المألوفة, ونقلها من الدلالة المادية القوية إلى الدلالة المعنوية, وهي تصور تهديده لهم في أشد قسوة, وفي صور متعددة, تلاحمت جميعها من أجل ترهيب المعارضين .

لعل من أجود صور التشبيه التي أبدعها الحجاج ,تشبيهه أهل العراق بأهل القرية الظالمة ,حيث قال لهم: "فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع بما كانوا يصنعون".

وقد اقتبس الحجاج هذا التشبيه من قوله تعالى : {وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون} (2)، موظفا قصة تاريخية مذكورة في القرآن الكريم على سبيل التمثيل, ليؤكد للعراقيين بأنهم يستحقون العقاب. ويعد هذا التمثيل من أحسن أنواع التشبيه, لأن المخاطب لا يملك ردا أو إنكارا لما سمعه, لأن مصدره القرآن الكريم. فالتشبيه بهذه الطريقة يعد أداة حقيقية للإقناع و من ثم التأثير.

---

(2) سورة النحل الآية "112"

2. صور الاستعارة

تعد الاستعارة لونا من ألوان التعبير المجازي, تكون العلاقة فيها بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي علاقة مشابهة , و الاستعـارة أبلغ فـي النفس و أجمل من التشبيه و أكثـر قدرة على تصويـر المعنـى بشيء من التخييل و المبالغة .

الاستعارة نوعان منها ما يقوم على الكناية و يسمى مكنية، و منها ما يسمى بالتصريحية و هي ما يصرح فيها بلفظ المشبه به .

و المتأمل في استعارات الحجاج بن يوسف الثقفي، يدرك أن جماليتها تكمن في حسن صياغتها و من ذلك قوله: " إني لأحمل الشر بحمله.

شبه الحجاج في هذه الصورة الاستعارية لفظ" الشر " و هو أمـر معنـوي بشيء مـادي قابل للحمل و المشاهدة و حذف المشبه به و ترك صفة من صفاته تدل عليه و هي لفظة "أحمل". وتليها مباشرة استعارة مكنية أخرى من خلال قوله": و أحذوه بنعله" حيث صور "الشر" بإنسان يمشي و رمز له بشيء من لوازمه و هو لفظ "نعله."

قصد الحجاج من هاتين الاستعارتين التأثير في المتلقي و إقناعه بعدم مواجهته لأنه يتميز بالقوة و البطش.

و في قوله." إني لأرى رؤوسا قد أينعت و حان قطافها، و إني لصاحبها." يشبه الحجاج في هذه الصورة رؤوس المعارضين لبني أمية بثمار أشجار الناضجة و حان وقت قطفها، و أنـه هو الذي سيتولى قطف الثمار التـي خذفها و أبقى على صفة من صفاتها و المتمثلة في لفظتي أينعت، و حان قطافها. و مقصوده من خلال هذه الصورة هو إظهار صرامته في تنفيذ تهديده و وعيده.

إلى جانب الاستعارة المكنية نجد الاستعادة التصريحية في قوله: "إن أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه." و هو يشبه قادة جيش أمير المؤمنين بالجعبة التي توضع بها السهام و هي الكنانة. و تبرز بلاغة هذه الصورة في حسن اختيار لفظ المشبه به "الكنانة" التي تدل على السلاح و الحرب و القوة، و هنا تبرز براعة الحجاج في إحكام صناعة استعارته في كل أجزائها.

ثم يقول: " فوجدني أمرها عودا و أصلبها مكسرا." يشبه الحجاج نفسه بسهم من أسهم الكنانة غير أنه أقوى سهم منها و بأنه أمر عود من عيدان أمير المؤمنين ليبين من خلال هذه الصور الاستعارية المركبة أن عملية اختياره واليا على العراق لم تكن عبثا و إنما نتيجة اختبار و تجربة.

3. صور الكناية

الكناية هي إطلاق لفظة و إرادة معنى آخر، و هذا ما يزيد الكلام قوة و تأكيدا و جمالا.

أدرك الحجاج أن تأكيد معاني الترهيب لا يكون بالتصريح بها بل عن طريق كناية، لأنها تجسد المعنى بصورة أقرب إلى الفهم و أبلغ في النفس. و أول الخطبة بيت شعري يتضمن الكناية:

أنا بن جلا و طلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

فقوله: "طلاع الثنايا" صفة تدل على قوة الحجاج و قدرته على طلوع الجبال رغم وعورتها، و هي كناية عن صفة القوة و الصلابة.

أما "العمامة" فهي كناية عن الحرب. فحسب العرف و المعهود العربين "أنها تلبس في الحرب و توضع في السلم". **(1)**

و حيث أن الحجاج ما يزال مرتديا عمامته فهو إذن في حالة حرب و على العراقيين أن يحذروا بطشه و قوته.

لقد استعان الحجاج بالكناية لإضفاء لمسة جمالية في التشكيل النصي من حيث جانبه التصويري ذلك أنها تقدم الحقيقة مصحوبة بقرينتها الدالة عليها، و هنا يكمن سر جمالها.

---

(1) أحمد زكي صفوت - جمهرة خطب العرب- الجزء **6** ص **274**

4. الأساليب الخبرية و الإنشائية

المتأمل لنص الخطبة يلاحظ كثرة استعمال أدوات التوكيد و منها:

""إن" و "أن" التوكيديتان استعملتا أكثر من ثماني مرات؛

""نون التوكيد الثقيلة" سبع مرات؛

""لام التوكيد" أربع عشرة مرة؛

إضافة إلى "القسم بالله"،" قد" الحرفية للتحقيق ، "التكرار... ""

لقد لجأ الحجاج إلى التوكيد كثيرا و ما أحوجه إلى ذلك فهو وال جديد لأناس اعتادوا الفوضى و الفتن و توكيداته جاءت لرفع الشك و حسم الأمور فهيمن على النص الأسلوب الخبري الإنكاري الذي يشتمل على مؤكدين أو ثلاثة في الجملة الواحدة. كما في قوله :" و الله إني لأرى رؤوسا قد أينعت و حان قطافها و إني لصاحبها" و هو أسلوب يقيد توثيق الأمر عند المحاطب المنكر.

يقول القزويني في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة: "إذا كان المخاطب منكرا للأمر فيلقى له الكلام مؤكدا على حسب إنكاره فكلما زاد في الإنكار زيد له في التوكيدان أما إذا كان خالي الذهن فيلقى له الكلام مجردا من التوكيدات"".

كمـــا استعمل الحجاج أسلوب الأمر في نوعيه الحقيقي و المجـــازي. و مثالا على ذلك قولـــه:" و اسمعوا و أطيعوا و شايعوا و بايعوا."

و قوله على سبيل الأمر المجازي: "أجلتكم ثلاثا و أعطيت الله عهدا لئن تخلف منكم بعد قبض عطائه أحد لأضربن عنقه و أنهبن ماله"".

فتهديده للمتخلفين و وعيده للعصاة أمر حتمي بالجهاد و فيه لفت للأنظار لخطورة العصيان.

استعمل الحجاج أسلوبي النداء و الاستفهام لشد أسماع الجمهور في قوله يا أهل العراق فيما أنتم و ذاك مستعملا حرف النداء "يا" الذي هو في الأصل لنداء النائي البعيد كالساهي و النائم و الغافل قرعا للنفوس و طلبا للإقبال و هو ما يناسب حال أهل العراق الغافلين المترددين.

من هنا يظهر لنا أن الحجاج زاوج بين الأسلوب الخبري و الأسلوب الإنشائي كي يضمن التأثير في المخاطب و حسن التلقي.

و تخللت الخطبة بعض المحسنات البديعية كالجناس مثل: "أعطيتكم أعطياتكم عطائه." و "أحمل حمله ".

و الطباق:" الشتاء/الصيف – لا تقبلن /لا تدعن...

ما بعث في خطبته نوعا من الحركية و الحيوية أسهمت في تكسير الملل و شد الأسماع.

5. البنية الإيقاعية

جاءت نهاية بعض الجمل "مسجوعة" كما جاء في قوله: "أقسم بالله لتقبلن على الإنصاف و لتدعن الإرجاف." و هو في ذات الآن مقابلة، مما أعطى نغما موسيقيا تستريح له الأذن و تطمئن له النفس خاصة و أنه استعمل في غير تكلف. لذلك قيل: "السجع كاللؤلؤ ترصع به كلامك فلا تكثر فيه فتتكلف، و لا تنقص منه فتتخلف".

6. صحة التقسيم

تتجلى صحة التقسيم في استقصاء الخطيب جميع ما ابتدأ به فيستخرج الحجة من ذلك حتى لا يبقى للسامع أي تأويل أو فهم مخالف أو زائد على ما يقتضيه كلام الخطيب. و قد أجاد الحجاج استعماله في هذه الخطبة للتقسيم غير ما مرة، نذكر كمثال على ذلك قوله: "لأضربنكم بالسيف ضربا يدع النساء أيامى و الولدان يتامى".

لجأ الحجاج إلى الاختصار و الإيجاز إلى جانب التقسيم. "و يبدو أنه إذا اجتمع في نص بلاغي الإيجاز مع التقسيم كان غاية في البلاغة و التأثير." (1)

---

(1)الدكتور عبد الرحيم الرحموني - الخطابة العربية الإسلامية دراسة في المتن و الفن ص 12

7. الأسلوب

كما تميز الأسلوب بقصر الجمل و كثرة الموازنات الصوتية و جزالة الألفاظ و قوة جرسها و هو أمر مناسب تماما لموضوع الخطبة. و اتسم البناء بمتانته و تنظيم الأفكار و تسلسلها مما أسهم بدوره في عملية الإقناع و التأثير.

من خلال كل ما سبق، يتبين لنا أن خطبة الحجاج فيها كل مواصفات و مميزات الخطبة الإقناعية و يتجلى ذلك في :

- ✓ توظيف البراهين و الحجج الجاهزة باستعمال الاقتباس من القرآن الكريم باعتباره الحجة الدامغة لجميع المسلمين، الاستشهاد بالشعر العربي باعتباره حكمة و خلاصة تجربة، التمثل اعتمادا على القصص القرآنـــي(مآل القرية الظالمة).
- ✓ تنويع الجوانب الفنية و تجلى ذلك في بلاغة المعاني و الألفاظ و جمالية التعبير من خلال التشبيه و الاستعارة و الكناية، التقرير و التأكيد من خلال التصوير و التخييل، عذوبة الإيقاع حيث يجتمع إيقاع الكلمة مع إيقاع الصورة مع إيقاع النغم ليشكل إيقاعا إقناعيا واحدا.

تركيب

في ختام هذه الرحلة الفكرية التي قادتنا إلى فضاء البلاغة في خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي ، لنصل إلى محطة بسط النتائج التي خلصنا إ ليها في هذه الدراسة.فبتأملنا للصور البيانية التي رسم ظلالها التشبيه والاستعارة والكناية، لوجدنا جلها تحمل في طياتها رسالة موجهة نحو متلق معين بأدق مسلك وأعذب بيان وأخلصه .كون الخطابة هي حالة فكرية تجمع الكلام ولغة الجسد وتعابير الوجه وتقنيات الصوت ومن خلال هذه الأركان الأربعة استطاع الحجاج أن يحقق هدفه من الخطبة.

- ✓ قوة الكلمة وبلاغة الخطاب.
- ✓ لغة الجسد وتعابير الوجه : إن المتلقي يحفظ التعابيروالإشارات أكثر من الألفاظ ، فإذا اقترنت الإشارة باللغة في موضعها الملائم أثرت أثرا عظيما.
- ✓ تقنيات الصوت :يحتاج كل من يتقن فن الخطابة والإلقاء أن يكون لسنا فصيحا درب اللسان لأن منطقه هو ثروته وعدته ، لذا يجب أن يكون سليم مخارج الحروف لا يعاني من عيوب الكلام كاللجاج والفأفأة.

وعليه كذلك أن يتقن مهارة رفع وخفض الصوت فعلى سبيل المثال إذا كان ضجيج وارتفاع صوت من طرف الجمهور فالشائع هو رفع صوت الخطيب وهذا خطأ لان المفروض في هذه الحالة هي تقنية الصمت حتى يتطلع الكل ويتشوق لسماع صوت الخطيب .

تقنية كسر الحالة : خفض الصوت ثم رفعه فجاة

وكل هذه المهارات برزت مع خطبة الحجاج حيث استعمل فيها كل التقنيات القوية للخطبة حيث أنه بدأها بالقوة وختمها بالقوة أيضا مراعيا نوع الجمهور الواقف أمامه من أهل العراق المربك لكل حكام الدول الإسلامية بدءا من سيدنا علي رضي الله عنه إلى خلفاء بني أمية وبني العباس . ومرورا بالحالة النفسية العامة لهذا المجتمع الراجع إلى الخليط الغير المتجانس والمتواجد فيها و المتمثل أيضا في خشونة الحياة والأوضاع السياسية مما جعلهم مشاكسين فعلماء النفس يعتبرون هذه النوعية من الجمهور من النوع اللامبالي ولهذا نجد الحجاج استخدم كل تقنيات الخطابة . وقد تظافرت هذه العوامل لتحقق الخطبة هدفها الذي يتمثل في نقل المعلومة أو الخبر ثم الإثارة والتشويق ـ تصعيد الحالة الوجدانية للسامع ـ وكل هذا للوصول إلى سلوك معين ونتيجة متوقعة. وقد ظهر أن خطبة الحجاج هذه قد

حققت الأهداف المرجوة فقد استطاع أن يقذف في قلوبهم الرعب والخوف. ويظهر ذلك من خلال تصرف الجمهور حيال رد السلام وخروج الشيخ خائفا متلعثما يبحث عن سبب يعفيه من الخروج إلى الحرب ولكن تصرف الحجاج العنيف يثبت للجميع أنه رجل قول وفعل.